مجلة جامعة طبرق للعلوم الاجتماعية والإنسانية

مجلة علمية محكمة تصدر ربع سنوياً

الصراع على السلطة وتأثيره على إفريقية الحفصية

(675- 772هـ / 1276- 1370م)

د. مريم ميلود سعد أحمد

أستاذ مساعد بقسم التاريخ – جامعة الزاوية

العدد: العاشر

أبريل 2022

الصراع على السلطة وتأثيره على إفريقية الحفصية

(675- 772هـ / 1276- 1370م).

د. مريم ميلود سعد أحمد

الأستاذ المساعد في التاريخ الإسلامي / قسم التاريخ / جامعة الزاوية

المستخلص:

عنوان هذا البحث الصراع على السلطة وتأثيره على إفريقية الحفصية، وقد جاء في مقدمة وثلاثة مباحث، تناولنا في المقدمة التعريف بالموضوع، في المبحث الأول: الصراع على السلطة والانقسام، وكشفنا في المبحث الثاني عن الوضع الثقافي والعلمي لعماء هذه الفترة متناولا المجالس العلمية بشقيها المجالس الأميرية والمجالس الخاصة.، وبحثنا في المبحث الثالث عن التأثيرات الخارجية وتأثيراتها على الحياة العلمية والثقافية في إفريقية خلال هذه الفترة، مع التركيز على التأثير المغربي وذلك راجع لسيطرة المرينية على إفريقية خلال تلك الفترة، بالإضافة إلى توضيح ذلك التأثير على مجال العمارة و الفنون أيضا.

Abstract

The struggle for power and its impact on Hafsid Africa

The title of this research is the struggle for power and its impact on Hafsid Africa. Princely councils and private councils. In the third topic, we discussed external influences and their impact on scientific and cultural life in Africa during this period, with a focus on the Moroccan influence due to the Marinid control over Ifriqiya during that period, in addition to clarifying that influence on the field of architecture and the arts as well.

مقدمة:

بدأ حكم الدولة الحفصية في إفريقية باستقلال أبي زكريا الحفصي[39] عن الموحدين سنة 625هـ/1227م، والذين ظلوا مسطرين عليها نحو ثلاثة قرون ونصف القرن، وقد شهدت الدولة الحفصية خلال حكمها لإفريقية مراحل من القوة والازدهار السياسي والثقافي والعلمي، كذلك شهدت مراحل من الضعف والانقسام السياسي خلا فترات حكم أمراء ضعف أثر ذلك على إفريقية حيث وقعت تحت السيطرة المرينية عندما تمكن أبو الحسن المريني من إخضاع إفريقية لحكمه من خلال الحملة التي جردها سنة748هـ/1347م.

وتكمن أهمية الموضوع في إعطاء لمحة عن وضع إفريقية خلال فترة الصراع والانقسام، من خلال تولى السلطة بعض الأمراء ضعاف، و تأثير ذلك على الوضع الثقافي والعلمي في إفريقية خلال تلك الفترة،مع توضيح التأثيرات الخارجية الثقافية والعلمية في إفريقية، مع توضيح التأثير المغربي على وجه الخصوص.

قدمنا للبحث : بمقدمة – وهي التي بين أيدينا – تتحدث عن الموضوع ، ثم ألقينا الضوء في المبحث الأول: عن فترة الصراع على السلطة والانقسام التي شهدتها إفريقية خلال تلك المرحلة من عمر الدولة الحفصية، وكيف انطبعت الدولة بطابع الضعف ، وخاصة بعد تولي بعض الأمراء الضعاف، ولكن هذا لا يمنع من تولى أمراء كانت لهم على تدبير أمور الدولة بشكل جيد، ثم القينا الضوء في المبحث الثاني على الوضع الثقافي والعلمي في إفريقية خلال تلك الفترة، ولنقف بعد ذلك على التأثيرات الخارجية الثقافية والعلمية على إفريقية، مع التركيز على التأثير المغربي، في المبحث الثالث،ختمنا البحث خاتمة رصدت أهم النتائج التي توصل إليها البحث،وتبع الخاتمة قائمة المصادر والمراجع.

---

[39] نسبه إلي أبى محمد بن الشيخ أبو حفص عمر من قبيلة هنتاتة،وهم من قبائل المصامدة من جبل درن. انظر:ابن الشماع، أبوعبدالله محمد، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية ،تحقيق، الطاهر المعمورى، الدار العربية للكتاب ، طرابلس ، تونس ، 1984م،ص 48.

1. المبحث الأول:

الصراع علي السلطة والانقسام (675- 772هـ / 1276- 1370م).

تولى أمر الحفصيين بعد المستنصر الحفصي[40] أمراء غلب عليهم الضعف، والصراع على السلطة والانقسام، فانطبعت الدولة الحفصية بطابع الضعف وذلك ابتداءً من عهد الأمير أبي زكريا يحيى الثاني (الواثق) (675-678هـ/1376-1379م) رغم محاولته القيام ببعض الأعمال الإصلاحية منها إطلاق سراح المسجونين ورفع الظلم عن الناس وغيرها[41].

مات الواثق سنة 678هـ/ 1279م، ومنذ هذا العهد إلى سنة 694هـ/ 1294م- وهي السنة التي تولى فيها الأمير أبو عصيدة[42]- توالى على عرش الحفصيين كثير من الأمراء الذين لم يكن لهم أعمال تذكر سوى الصراع والانقسام[43].

اتسم عهد الأمير أبي عصيدة الذي استمر أربعة عشر عامًا- حتى 709هـ/ 1309م- بالأمن والاستقرار، فعاشت إفريقية مطمئنة وشهدت ازدهارًا في شتى المجالات طوال هذه المدة.

أوصى أبو عصيدة بالحكم للأمير أبي يحيى أبي بكر الشهيد، الذي تولى الحكم سنة (709هـ/ 1309م) وسرعان ما خلع إذ لم يدم حكمه سوى أيام[44]، ثم بويع بعده الأمير أبو

---

(40) الأمير محمد بن أبي زكريا يحيي بن أبي محمد بن عبد الواحد بن أبي حفص عمر بن يحيي الهنتاتي الملقب بالمستنصر الحفصي تولى الحكم في الدولة الحفصية خلال الفترة (647-675هـ/1249-1276م) .

انظر:ابن الأحمر،إسماعيل ابن الأحمر ت 807هـ/1404م ، نثير الجمان في شعر منتظم نيوإياهالزمان، تحقيق،محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1976م، ص97-98.

(41) الكواش، صالح الكواش، تاريخ تونس ،خطوط بدار الكتب الوطنية، تونس، تحت رقم 338،ورقة رقم 307.

(42) عبد الله محمد بن المولى الواثق، تولى الحكم (694- 709هـ/ 1294- 1309م)، أما أسباب تسميته بأبي عصيدة فقد قيل: إنه لما قتل الواثق بن المستنصر هو وبنوه فرت إحدى جواريه وهي حامل إلى رباط الشيخ المرجاني وأنجبته في بيته فسماه الشيخ عبد الله، وأطعم الناس الفقراء عصيدة الحنطة، فلقب لذلك بأبي عصيدة.

انظر: الأدلة، المصدر السابق، ص141.

(43) زاهر رياض، شمال إفريقيا في العصور الوسطى ،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1981م، ص153.

(44)تاريخ تونس، المخطوط السابق ورقة رقم 309.

البقاء خالد الأول (709- 711هـ/ 1309- 1311م)، وكان سفيهًا لا يدرك من أمور الحكم شيئًا سوى اللهو[45]، وترك الأمور السياسية وشئون الحكم، فطمع أبو يحيى زكريا اللحياني القادم من طرابلس في الحكم، ذلك سنة 711هـ/ 1311م[46].

تم للحياني ما أراد فأزاح خالد الأول وتولى أمر الحفصيين، وظل كذلك إلى وفاته سنة 717هـ/ 1317م، وكان اللحياني قويًا فهدأت في عهده الأوضاع الداخلية بعد أن قام بالعديد من الإصلاحات، إلى أن ترك الحكم لابنه المعروف بأبي ضربة[47] (717- 718هـ/ 1317- 1318م)، ولم يمكث في الحكم إلا عامًا[48].

تولى بعد أبي ضربة الأمير يحيى أبو بكر سنة 718هـ/ 1318م، وطالت مدة حكمه إلى سنة 747هـ/ 1346م، مما ساعده على إجراء العديد من الإصلاحات التي أدت إلى الاستقرار السياسي والاقتصادي[49].

اضطربت أمور إفريقية بعد وفاة الأمير يحيى أبي بكر، مما شجع أبا الحسن المريني[50] على التفكير في ضمها إلى حوزة الدولة المرينية، خاصة أنه كان يعتبرها من أملاك الموحدين الذين ورثهم بنو

---

(45) ابن الصباغ،محمد بن أبي القاسم الحميري 855هـ/ 1451م، درة الأسرار وتحفة الأبرار، مخطوط بدار الكتب الوطنية، تونس، تحت رقم 5109، ورقة رقم 50.

(46) إبراهيم حركات،المغرب عبر التاريخ، ط2، دار الرشاد، المغرب، 1984، ج2 ص39.

(47) أحد الأمراء الذين تولوا السلطة في الدولة الحفصية في فترة الاضطرابات التي مرت بها، حيث تولى (717- 718هـ/ 1317- 1318).

انظر:

الزركشي، أبو عبدالله محمد بن إبراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق، محمد ماظور، المكتبةالعتيقة، تونس، ط3، 1996 م ص51- 53.

(48)المصدر نفسه، ص53-55.

(49) نفسه، ص55.

(50) أبو الحسن بن السلطان المريني حكم خلال الفترة (732- 752هـ/ 1331- 1351م).

انظر: تاريخ تونس، المخطوط السابق، ورقة رقم96.

مرين، فجرد سنة 748هـ/ 1347م حملة استطاع خلالها السيطرة على إفريقية[51].

أوردت المصادر أن أبا الحسن المريني بايعه أكثر من خمسين أميرًا من بني عبد الواحد ومن الأندلس، لم يستقيم الأمر لبني مرين بتونس، إذ أن جماعة من الذين حرموا الأعطيات والإقطاعيات أخذوا يشنون الغارات المتتالية على مناطق عدة في تونس، الأمر الذي حدا بأبي الحسن المريني للخروج إليهم لكنه تعرض للهزيمة قرب القيروان سنة 749هـ/1348م[52].

لم تهدأ الأحوال بتونس خاصة أنها تعرضت لحالة من الجفاف ونقص الطعام حتى وصل ثمن قفيز[53] القمح إلى ثمانية دنانير، فضلاً عما أحدثه ذلك من انتشار الأوبئة التي كان يموت بسببها ألف شخص تقريبًا في اليوم الواحد[54].

سنحت الفرصة للحفصيين لإعادة إفريقية لسلطانهم، وذلك عندما تحرك الوالي أبو العباس الفضل (750-751هـ/1349-1350م) [55] لاسترجاعها، وتزامن ذلك مع أخبار وصلت من المغرب، مفادها أن أبا عنان المريني[56] قد استقل ببلاد المغرب، عند سماعه أن أبا الحسن توفي بتونس، وشهد له بذلك عدد من الناس، ولكن عندما علم بأن والده لا يزال حيًا، أوصى عماله في الأقاليم بمنعه من الوصول إلى المغرب فما

---

(51)ابن أبي دينار،أبوعبدالله محمد بن أبي القاسم،المؤنس في أخبار إفريقية وتونس،تحقيق،محمدا لشمام،ط 5،المكتبة العتيقة،تونس، 1993م، ص146، 147.

(52) المصدر نفسه،ص146.

(53) مكيال وهو ثمانية مكاييل والجمع أقفزة.

انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم النصاري ت711هـ/1311م، لسان العرب ،دار صادر، بيروت، 1968م، ج7 ص510.

(54) ابن القنفذ،أبوالعباس أحمد بن الحسن بن علي بن الخطيب ت 810هـ/1407م،الفارسية في الدولة الحفصية،ص97.

(55) ابن المولى أبي يحيى أبي بكر بن المولى أبي زكريا ويعرف بأبي العباس الفضل، بويع بالحكم سنة 57هـ/ 1350م، وتوفي سنة 751هـ/ 1350م فكانت مدته خمسة أشهر وأربعة عشرة يومًا.

انظر:الأدلة، المصدر السابق، ص93.

(56) أبو عنان بن أبي الحسن بن عبد الحق المريني ، حكم الدولة المرينية خلال الفترة (752-760هـ/1351-1358م) .

انظر:تاريخ تونس، المصدر السابق، ورقة رقم97.

كان من أبي الحسن إلا مغادرة تونس بحرًا متوجهًا إلى بلاد المغرب، تاركًا ابنه الفضل بتونس، حيث لحق به بعد أن خلعه أبو العباس الفضل الحفصي سنة 750هـ/ 1349م[57].

لم تكن عودة إفريقية إلى السيادة الحفصية عودة سالمة، فقد استمرت الفوضى السياسية[58]، مما حدا بالمرينيين إلى العودة إليها من جديد سنة 758هـ/ 1356م، بقيادة أبي عنان المريني الذي استطاع السيطرة على قسنطينة، ولكن اضطراب أمر المرينيين بالمغرب أجبر أبا عنان إلى العودة بعد شهرين، فاستطاع الحفصيون استرداد ما أخذه منهم أبو عنان[59].

استمرت الأوضاع السياسية في الدولة الحفصية سيئة، فقتل أميرهم أبو إسحاق إبراهيم (751-770هـ/ 1350- 1368م)، فتولى بعده آخر أمراء هذه المرحلة أبو البقاء خالد (770- 771هـ/ 1368-1369م) الذي قال عنه ابن القنفد: "إنه لم يكن له قضية ولا منقبة"[60] حتى تسلم منه الحكم أبو العباس أحمد سنة 772هـ/ 1370م، الذي كان عهده بداية مرحلة جديدة في تاريخ الدولة الحفصية.

ما تجدر ملاحظته أخيرًا بالنسبة لهذه المرحلة، أنه على الرغم من الاضطرابات الداخلية والخارجية التي شهدتها إفريقية، فإنها شهدت ازدهارًا ثقافيًا، ووجود العديد من المؤسسات الثقافية التي لم يدخر العلماء جهدًا في رعايتها، إذ لم تتوقف رحلات العلماء بين المشرق والمغرب، فعرفت إفريقية في هذه المرحلة علماء من أمثال ابن الدباغ (ت 699هـ/ 1296م)[61]، وأبي العباس الأنصاري (ت 724هـ/ 1341)[62]، وأبي إسحاق الصفاقسي (ت 742هـ/ 1341م)[63]، وأبي العباس الغماري

---

(57)الفارسية، المصدر السابق، ص173 .

(58) المصدر نفسه، ص175.

(59) المؤنس، المصدر السابق، ص187.

(60) الفارسية ، المصدر، السابق،ص176.

(61) أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله الأنصاري المعروف بابن الدباغ، من علماء القيروان ومؤرخيها وشعرائها، من أهم تأليفه: "معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان"، وغيره.

انظر: ابن خلدون، عبد الرحمن محمد، مقدمة ابن خلدون،دار العودة ،بيروت،د.ت، ص300.

(62) أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري، ولد ببلنسية سنة 609هـ/ 1211م، كان عالمًا وإمامًا وقاضيًا، أخذ العلم عن أبي بكر بن محرز وأبي المطرف بن عميرة، له العديد من القصائد وأبيات الشعر.

انظر:المقدمة، المصدر السابق، ص45.

(ت782هـ/ 1380)[64]، أضف لذلك أن أبا الحسن المريني في حملته على تونس اصطحب ما يزيد على أربعمائة من علماء المغرب، فزاد ذلك في تقوية الرصيد العلمي والثقافي لإفريقية[65].

2. المبحث الثاني:

الوضع الثقافي والعلمي:

- **المجالس العلمية:**

شارك أمراء بني حفص في الحياة العلمية والثقافية في إفريقية،واهتموا بمجالس العلم وكانت مجالسهم العلمية والأدبية بإفريقية تضم الطلاب ورجال العلم خاصة الوافدين من المغرب والمشرق والأندلس وكان لهذه المجالس متعة أدبية وعلمية إذ كانت تنشد فيها الأشعارتعقد فيها المناقشات العلمية وتتبادل فيها المعارف بشتى أنواعها، وكانت المجالس تعقد داخل قصور الأمراء والوزراء والوجهاء، أو داخل بيوت الأدباء أنفسهم، وأحياناً يخرجون إلى التنزه في الهواء الطلق، حيث المناظر الطبيعية الجميلة التي تتمتع بها إفريقية[66].

انقسمت المجالس العلمية التي عرفتها إفريقية في العهد الحفصي إلى قسمين:المجالس الأميرية، ومجالس العلماء والأدباء الخاصة[67].

---

(63) أبو إسحاق برهان الدين الصفاقسي، امتاز بالمهارة في جميع الفنون، ومن أشهر مؤلفاته: "المجيد في إعراب القرآن".

انظر: ابن مخلوف، محمد بن محمدالمنستيريت 941 هـ / 1934، شجرة النور الذكية في طبقات المالكية ، دار الكتاب العربي،بيروت،د.ت، ج1ص9.

(64) أبو العباس أحمد بن عيسى الغماري ت 682هـ/ 1282م، كان غزير العلم والأدب، قرأ عليه أبو فارس عبد العزيز بن عبيد جملة من المعالم الفقهية لابن الخطيب.

انظر: المقدمة، المصدر السابق، ص257.

(65) القلقشندي،أبوالعباس أحمد بن على ت 821هـ/ 1418م،صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق ،محمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ج7 ص404، 405.

(66) المصدر نفسه،ج 2 ص 144 .

(67) أحمد الطويلي، الحياة الأدبية بتونس في العهد الحفصي ،التصدير،الشاذلي بويحيي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القيروان، 1996م، ص 311 .

- **المجالس الأميرية:**

هى تلك التي كانت تعقد داخل بيوت الأمراء والوجهاء والوزراء، ويمكن القول إن تلك المجالس أخذت في الظهور في تونس العاصمة الحفصية مع بداية عهد أبي زكريا الأول، وابنه المستنصر بالله، وكان أبو زكريا اللحيانى يألف أهل العلم[68] ويميل لحضور مجالسهم ويحرص على الاستفادة منهم، اهتم الحفصيون بمجالس الوعظ التي كان يقرأ فيها القرآن الكريم، ومن ذلك حضور الأمير أبي زكريا ابن أبي إسحاق مجلس الوعظ بمدرسة المعرض التي كان يعقد فيها هذا المجلس يوميا لاثنين والجمعة من كل أسبوع[69].

اعتنى الحفصيون أيضًا بمجالس الغناء، لذلك غمرت قصورهم بالمجالس الغنائية وكانت تقام بساحة واسعة من القصر يجلس فيها السلطان على أريكته ومعه الوفود والأعيان، ويصف ابن خلدون هذه الساحة بقوله إنها " مكان يقع في الصرح العالي برأس الطابية وهو إيوان مرتفع"[70].

إلى جانب هذه المجالس العلمية والأدبية التى كانت تعقد من قبل أمراء بني حفص في فترة استقرار الدولة، فإن أبا الحسن المريني كان يحضر أيضًا مجالس العلم بإفريقية عندما سيطر المرينيون عليها(747هـ / 1346م) حيث جلب معه علماء من المغرب الأقصى كان يشاركهم فيها[71]ومنهم الإمام أبو عبد الله السطي (ت 749هـ/1348 م)[72] وأبو محمد الحضرمي (749 هـ / 1348م)[73] إمام المحدثين والنحاة بالمغرب الأقصى، وأبو عبد الله محمد المكناسي (ت 750 هـ /1349) [74]

([68]) المؤنس، المصدر السابق، ص 128.

([69]) الصدر نفسه، والصفحة.

([70]) ابن خلدون، عبد الرحمن محمد، العبر وديوانا المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومعاصره ممن ذوي السلطان الأكبر دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1959 م،ج7،ص630.

([71]) االمقري، شهاب الدين أحمد المقري التلمساني،ت 1041هـ/ 1631م ،نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1997م،ج 4 ص 115 .

([72]) عالم وفقيه، وكان لا يجاريه أحد في الفقه، من أشهر العلماء الذين اصطحبهم أبو الحسن المريني معه إلي إفريقية. انظر: الأدلة، المصدر السابق،ص84.

وخلاصة القول أن الدولة الحفصية استفادت كثيرًا من تلك المجالس، لا سيما المناقشات العلمية، والمجادلات الفقهية التي كانت تدور داخلها،و تعود بالفائدة على الدولة ،وتزيد من رصيدها العلمي والثقافي.

- **المجالس الخاصة:**

هي تلك المجالس التي كانت تعقد داخل بيوت الأدباء والعلماء إذ خصص بعضهم جزءًا أو مكانًا في بيوتهم ليجتمع فيه أهل العلم لمناقشة المسائل العلمية والقضايا الدقيقة المتنوعة، فيبدي كل منهم رأيه فيها، ويختار الحل الذي يراه مناسبًا لها[75]. كذلك كان الأدباء والشعراء يلتقون في الهواء الطلق، حيث المتنزهات والحدائق للغناء تحيط بهم المناظر الطبيعية الخلابة، بالإضافة إلي مجالس اللهو التي يتبادلون فيها أطراف الحديث وينشدون الأشعار، وفي كتاب"القدح المحلي" لابن سعيد (ت 685هـ/1286م)أوصاف تفصيلية لهذه المجالس التي حضرها ابن سعيد نفسه[76].

- **علماء هذه الفترة:**

من الملاحظ أن إفريقية كانت من أشد أقطار المسلمين اهتمامًا بمختلف العلوم العقيلة منها والنقلية، ومنها علم القراءات القرآنية،حيث واصل الحفصيون دراسة علوم القرآن، وراعوا قراءه، فزاد القراء،ومن أشهرهم خلال هذه الفترة ومنهم أيضًا محمد بن عبد النور الندرومي تلميذ ابن زيتون[77]، الذي أرسل من

([73])أبو محمد عبد المهيمن بن محمد الحضرمي، أديب وشاعر وفقيه، ورئيس الكتاب في تونس لدى السلطان أبي الحسن المريني، له عدة قصائد مدح فيها الوزير محمد عبد الحكيم.

انظر:المصدر نفسه، والصفحة.

([74]) فقيه عارف بالحديث أخذ عن علماء فاس ثم توجه إلى تونس وأخذ عنه ابن خلدون وابن عرفه.

انظر: شجرة النور الزكية، المصدر نفسه، ص 221 .

([75]) الحياة الأدبية، المرجع السابق، ص 311.

([76]) نور الدين أبو الحسن علي بن سعيد الغرناطي، ولد بقلعة بني سعيد سنة 610هـ/ 1213م، وتوفي بتونس سنة 685هـ/1286م، له رحلتان منهما رحلة مع أبيه للمشرق زار فيها مصر والحجاز.

انظر:الأدلة، المصدر السابق، ص 12،13.

([77]) المصدر نفسه،ص7،

قبل أبي الحسن المريني ليتولى قضاء العسكر، وتوفي بتونس سنة 749هـ/ 1348م بمرض الطاعون[78] وأيضًا أبو إسحاق برهان الدين الصفاقسي[79] الذي امتاز بالمهارة في جميع الفنون، ومن أشهر مؤلفاته (المجيد في إعراب القرآن) ويتكون من مجلدين جمع فيه بين التفسير والإعراب، توفي سنة 743هـ/ 1346م، وأصبح كتابه هذا من أشهر كتب التفسير المتداولة في ذلك الوقت[80].

كما اشتهر أبو عبد الله محمد بن موسى البطرني (ت793هـ/ 1390م) والذي كان إمامًا مقرئًا محدثًا راويًا وخطيبًا صالحًا[81].

أما في الفقه فقد أشتهر من الفقهاء في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي كثيرون منهم الفقيه أبو بكر بن جماعة الهواري (ت 718هـ/ 1318م)، وله مؤلفات في البيوع، والفقيه محمد بن عبد الله بن راشد القفصي (ت 736هـ/ 1335م)، ومن أهم مؤلفاته "تلخيص المجهول في علم الأصول" و"المذهب في ضبط مسائل المذهب" و"كتاب تحفة اللبيب في اختصار كتاب ابن الخطيب"، وغيره من الكتب، ويعتبر ابن رشد القفصي أول من شرح كتاب ابن الحاجب، وله رحلة في طلب العلم إلى الشرق، حيث تقابل مع أعلام العلوم هناك مثل شمس الدين بن ناصر الدين الإيباري (ت 842 هـ / 1438م)، والقرافي[82].

([78])الأندلسي،ابن محمد السراجت 1149 هـ / 1736 م،الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق،الحبيب الهيلة،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1985م،ج1، ص694.

([79]) اسمه: إبراهيم بن محمد الفارقي المغربي المالكي برهان الدين، ولد سنة (697هـ/ 1297م) ، وأخذ عن أبي حيان بمصر وعن المزي بدمشق.

انظر :الحلل، المصدر نفسه،ج1،ص694.

([80])المصدر نفسه والجزء والصفحة.

([81]) تاريخ الدولتين، المصدر السابق، ص60.

([82]) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي العلاء الصنهاجي، كان ملمًا بعلوم شتى كالفقه و الأصول وله معرفة بالتفسير، ومن مؤلفاته: "الإنقاذ في الإعتقاد"، و"شرح الأربعين في أصول الدين".

انظر :شجرة النور الزكية،المصدرالسابق،ص188.

والفقيه ابن هارون الكناني (ت750هـ/1349م)، ويعد من أشهر مدرسي جامع الزيتونة، برع في الفقه وفي كثير من العلوم الدينية الأخرى، وله عدة مؤلفات منها "شرح مختصر ابن الحاجب" و"شرح المعالم الفقهية"[83].

ومن أشهر التفاسير التي برزت في العهد الحفصي تفسير ابن بريزة (567- 663هـ/ 1171- 1264م) الذي جمع فيه بين تفسيري ابن عطية والزمخشري[84]، ويعد تفسير أبي عبد الله محمد بن عربية الورغمي (716-803هـ/ 1316- 1400م) من أهم التفاسير في العهد الحفصي وذلك لمكانته العلمية ومكانة تلاميذه من بعده[85].

هاجر الشاعر الأديب أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن الأنصاري الخزرجي البلنسي الأندلسي المعروف بابن الغماز (ت693هـ/1393م) [86] إلى إفريقية فاتصل بأمراء الحفصيين، فأتاح له ذلك أن يحدث تأثيرًا كبيرًا في الوسط العلمي والأدبي؛ فقد درّس القراءات والتاريخ والأدب، وكتب شعرًا في الوعظ والحث على التمسك بمبادئ الدين[87].

([83]) التنبكتي: أحمد بابا ت 1036 هـ / 1626 م، نيل الابتهاج بتطريزالديباج، تحقيق، عبد الحميد الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989م، ج2 ص55 .

([84])الحلل، المصدر السابق،ج1، ص64.

([85]) السخاوي، شمس الدين ت 902 هـ / 1496 م، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات مكتبة الحياة،بيروت،د.ت،ج9 ص 240- 241.

([86]) محمد النفير،محمد ت 1330 هـ / 1911 م،عنوان الأريب عما نشأ بالمملكة لتونسية من عالم أديب،تونس،د.ت،ج1ص58.

([87]) ومنه قوله:

يا منفقَ العمْر في حرصٍ وفي طمعٍ إلى متى قد تولّى وانقضى العُمر؟

إلى متى التَّمادي في الضَّلال أما تنبيك موعظةٌ لو تنفع الذِّكرُ؟.

انظر: المصدر نفسه،ج1، ص58.

ومن الأطباء المؤلفين في مجال الطب خلال هذه الفترة، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الخزرجي الشاطبي (ت691هـ/ 1291 م)، وغيرهم(88).

ومن الكتب التي اهتمت بأعلام الدولة الحفصية وألفت خلال هذه الفترة " سبك المقال لفك العقال " لابن الطواح التونسي(ت700هـ/ 1300م) مكانة مهمة في التراجم، إذ ترجم فيه لستة وعشرين أديبًا مثبتًا كثيرًا من الأخبار عن الحياة الأدبية والعلمية في عهده المختلفة[89].

ويبقى هذا السجل ناقصاً لو لم نذكر رحلة التجاني (ت721هـ/1321م)[90]وهو بصحبة الأمير ابن اللحياني من تونس إلى طرابلس، وقد ألف رحلته الشهيرة الفائدة الأدبية والتاريخية، حيث قدم الملاحظات الدقيقة فيما يخص الأماكن والظروف الطبيعية والرجال والقبائل والحياة الثقافية والأدبية، وقد ذكر عن التجاني في رحلته أنه كان يستعين في كتاباته بالمكتبة الحفصية التابعة للقصر أوالقصبة[91].

نذكر أيضًا كتاب هام ومعجم جغرافي وهو" الروض المعطار في خبر الأقطار" لابن عبد النور الحميري (ت 726هـ/1325م)[92] الذي تكلم فيه عن جغرافية إفريقية وذكر في بعض مواده الدولة الحفصية فقد كان يعظم أمرائها حيث لا يذكرهم الأ ويقدم لهم بعبارة " الأمير الأجلّ[93].

([88])حسن حسني عبد الوهاب، العمر ،مراجعة،محمدالعموري،دارالغربالإسلامي،بيروت،1990م، مج 2ص784.

([89]) يعد من أهم كتب التراجم ايضًا .

انظر: تاريخ الدولتين، المصدر السابق،ص14.

([90]) أبو عبد الله محمد بن أحمد، صاحب الرحلة المعروفة في تونس وطرابلس، ولد بتونس سنة 670هـ/1271م، من مؤلفاته:" تحفة العروس ومتعة النفوس" و"علامة الكرامة في كرامة العلامة".

انظر:عنوان الأريب، المصدر السابق،ج1ص87-88.

([91]) كما مر بمدينة تونس بعض الرحالة الذين بقوا بها مدة من الزمن منهم العبدرى (ت737 هـ/1336 م)، وغيره .

انظر:الأدلة، المصدر السابق، ص 16، 17.

([92]) محمد بن محمد بن عبد النورالحميري التونسي المالكي، قرأ على أبي القاسم بن زيتون، ومحمد بن برطلة ، له تصانيف في عدّة علوم منها : " نفحات الطيب في اختصار تفسير ابن الخطيب"، و" شرح على الحاصل"، و"الحاوى في الفتاوي".

انظر: كتاب العمر، المرجع السابق، مج2ص470.

([93])المرجع نفسه، والجزء،ص471.

شهدت إفريقية خلال العهد الحفصى تقدمًا وازدهار ثقافيًا،ونهضة علمية،جعلها مركز إشعاع حضاري نال إعجاب الرحالة المغاربة والأندلسيين والمشارقة،فكتبوا عما وصلت إليه إفريقية،وأشاروا إلى كثيرة علمائها وشعرائها. وروعة ميادينها،وتقدم مؤسساتها العلمية.

3. المبحث الثالث:

التأثيرات الخارجية على الحياة الثقافية والعلمية في إفريقية خلال الفترة (675-772هـ/1276-1370م)

شهدت إفريقية خلال هذه الفترة بعض من التقدم والأزهار الثقافي والعلمي، جعلها مركز إشعاع حضاري نال إعجاب الرحالة المغاربة والأندلسيين والمشارقة، فكتبوا عما وصلت إليه إفريقية، وأشاروا إلى كثيرة علمائها وشعرائها. وروعة ميادينها، وتقدم مؤسساتها العلمية.

باستجلاء المؤثرات الخارجية التى أثرت فى الحياة الثقافية فيها يكتشف لنا جانبًا من الروافد التي اعتمدت عليها هذه الحياة من ناحية، كما يكشف عن التأثيرات المتبادلة بين دول العالم الإسلامي خلال تلك الفترة من ناحية أخرى، التى كان لها دور فى إنجاح تلك النهضة فى إفريقية في فترات لاحقة.

- **التأثير المغربى:**

لم تتأثر الحياة العلمية والثقافية في إفريقية خلال هذه الفترة بالمشرق فقط[94]، بل كان للمغرب – ممثلاً في دولة الموحدين – تأثيرات شديدة عليها، لاسيما بعد أن اصطحب أبو

([94]) معلوم أن الأحوال السياسية فى إفريقية منذ الفتح الإسلامي فصاعدًا تأثرت بمثيلتها في المشرق الإسلامي، وكذلك الحال بالنسبة للحياة العلمية والثقافية، فالنهضة الفكرية – وبالذات فى ميدان الفقه – التي أسفرت عن ظهور المذاهب الأربعة بدأت تعرف طريقها إلى إفريقية وأخذ المغاربة بدورهم يتوافدون إلى المشرق التماسا للمعرفة، وعن طريق هذا الانتقال المتبادل انتقل مذهب مالك، إلى إفريقية فى أوائل القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي ثم أصبحت إفريقية مركزًا من أقوى مراكز المذهب المالكي، حتى أن أبا الحسن المريني حين غزاها سنة 747هـ/1346م، وجد بها عددًا من الفقهاء من أمثال ابن عبد السلام، وابن هارون، وابن عرفة، استطاعوا مناظرة الفقهاء الذين اصطحبهم معه.

انظر:.محمود إسماعيل، المالكية والشيعة بإفريقية أبان قيام الدولة الفاطمية ،المجلة التاريخية المصرية، القاهرة،1976م، مج 23 ص 95

الحسن المريني عند سيطرته على إفريقية سنة 748م/ 1347م، عددًا من العلماء، حيث تتلمذ على يد هؤلاء العلماء عدد كبير من الطلاب لتفقههم في العلوم المختلفةً [95]، ومن أشهر هؤلاء العلماء الفقيه أبو عبد الله محمد بن سليمان السطي ت 750هـ/ 1349م، وكان لا يجاريه في الفقه أحد، وعبد المهيمن الحضرمي ت749هـ/ 1348م [96] وغيرهم.

لقد مر بمدينة تونس بعض الرحالة الذين بقوا مدة من الزمن بأحدى المدارس لتلقى العلم، نذكر من بينهم العبدرى (ت 737هـ / 1336م)، والقلصادى (ت 891هـ / 1486م)، وغيرهم[97].

كما وفد أدباء المغرب الأقصى إلى بلاط الحفصيين، واتصلوا بهم[98]، وكان من بين هؤلاء الأدباء عدد من الخطباء ارتبطوا بالبلاط الحفصي[99].

حمل آل التجاني في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي راية الأدب في إفريقية، وقد حظوا بمكانة مرموقة لدى البيت الحفصي، حيث انحصرت فيهم كتابة الأشعار وخطة العلامة مدة طويلة، وكذلك كانوا مرافقين للأمراء الحفصيين في رحلاتهم خارج تونس[100].

([95]) الحسن إسكان، تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط (1-9هـ/ 7-15م) مركز الدراسات التاريخية، الرباط، 2004م،ص 64-67.

([96]) أبو محمد عبد المهيمن بن محمد الحضرمي، أديب وشاعر وفقيه، ورئيس الكتاب في تونس لدى السلطان أبي الحسن المريني، له عدة قصائد مدح فيها الوزير محمد عبد الحكيم.

انظر: الأدلة، المصدر السابق، ص84.

([97])العبر، المصدر السابق،ج6 ص814.

([98]) منهم الأديب شهاب الدين أحمد بن الخلوف،المعروف بصاحب الصناعتين، ولد سنة 829هـ/ 1425م، فاسي الأصل، قسنطيني المولد، وقد وفد على الأمير أبي عمرو عثمان ومدحه، وكان كثير النظم في مدح النبي-صلى الله عليه وسلم، توفي سنة 910هـ/ 1504م.

انظر: الحلل، الصدر السابق،ج3ص606،605

([99]) منهم أبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن عبد البر (ت 737هـ/1336م) ، وكان بليغًا قوي اللسان، من الخطاطين عُرف أحمد بن مكي الجريدي (ت766هـ/1364م) ، كان شاعرًا وناثرًا وخطاطًا ينحو بخطه منحى الخط المشرقي.

انظر: المصدر نفسه، والجزء، والصفحة.

أصبحت إفريقية مركزًا من أقوى مراكز المذهب المالكي، حتى أن أبا الحسن المريني حين غزاها سنة 747هـ/1346م، وجد بها عددًا من الفقهاء من أمثال ابن عبد السلام، وابن هارون، وابن عرفة، استطاعوا مناظرة الفقهاء الذين اصطحبهم معه[101].

- **العمارة والفنون:**

صحب بعض التقدم العلمي والثقافي الذي شهدته إفريقية خلال هذه الفترة تقدم في العمران، فكما اهتم بعض الأمراء هذه الفترة بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، اهتموا كذلك بالبناء والتشييد والعمارة.

حيث تنوع العمران والبناء بحسب متطلبات الحياة فنجد منشآت عمرانية ذات طابع اقتصادي، وأخرى ذات طابع ثقافي، وثالثة ذات طابع اجتماعي[102]ومن ذلك فقد أمر الواثق بالله سنة 676هـ/ 1277م بإصلاح المساجد وكسوتها[103]، وفي سنة 716هـ/1316م، أمر ابن اللحياني بعمل أبواب خشبية له[104].

كما بني الأمير ابن اللحياني سنة 717هـ/1317م بطرابلس موضعًا لجلوسه يسمى

([100])لعل أهمهم أبو الفضل محمد بن أبي القاسم التجاني (657-718هـ/1258-1318م)، وكان له السبق في علوم اللغة من نحو وبلاغة، وقد اشتغل أبو الفضل بالكتابة في ديوان الإنشاء، كما تولى منصب رئيس المكتبة سنة 707هـ/ 1307م، ومن رسائله التي أعدها رسالته الإخوانية إلى ابن عمه عبد الله التجاني (712هـ/1321م)خلال رحلته إلى تونس، ومن أهم مؤلفاته: "الحلى التجانية"، و"الدر المنظوم"، وهو عبارة عن مختارات شعرية، ومراسلات أدبية جرت بينه وبين أدباء آخرين ، ومن أقارب آل التجاني ابن كحيل (ولد حوالي760-865هـ/1358-1460م) وكان من الشعراء والمصنفين ومن مؤلفاته: " عون السائرين إلى الحق"، وكتاب" المقدمات" في الفقه، أما شعره فنجد منه نماذج في "منتزه العيون"، و"عنوان الزمان" وكان ممن يرتجلون الشعر.

انظر: نفح الطيب، المصدر السابق، ج2ص405.

([101]) اصطحب أبو الحسن المريني معه في هذه الحملة عددًا من العلماء منهم : أبو عبد الله السطي (ت749هـ/1348م) وأبو محمد الحضرمي (ت749هـ/1348م) وأبو عبد الله المكناسي (ت750هـ/1349م).

تفاصيل هذه المناظرات، وترجمة هؤلاء الأعلام : انظر:الأدلة، المصدر السابق،ص84.

[102]الزركشي: تاريخ الدولتين، ص25.

[103] المؤنس، المصدر السابق، ص156.

[104] تاريخ الدولتين، المصدر السابق،ص51.

"الطارمة"[105]، وقد ذكر الزركشي أنه بناه بالجليز[106] والرخام[107] مما يدل على فخامة البناء.

بنى الحفصيون خلال هذه الفترة أيضًا بحفر خندقًا حول مدينة تونس عندما حاصرها أبو الحسن المرينيولما نزل النصارى قَرْقَنّة[108]، كما شرع الأمير أبو ضربة (ابن أبي اللحياني) ، في بناء سور على الأرياض[109] خارج تونس، خلال فترة الصراع الذي دار بينه وبين أبي يحيي أبي بكر[110]، كذلك شيد الأمير أبو العباس أحمد البرج الكبير المعروف بقرطيل[111] المحار شرقي بلدة قمرت بقرطاجنة، وجعله للحراسة[112].

([105])المصدر نفسه، ص65.

([106]) عبارة عن طلى المنتج الفخارى بطبقة رقيقة من مادة زجاجية تسمى الطلاء الزجاجي.

انظر: المصدر نفسه، ص34.

([107]) أزهار الخزف المطلي.

انظر: المصدر نفسه، والصفحة.

([108]) جريرة في البحر تقابل سفاقس، في وسط البحر، بينها وبين سفاقس عشرة أميال.

انظر: البغدادى:صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق،مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع،تحقيق،علي محمد،دارالجيل،بيروت،1988 م، ج1، ص1080.

([109]) الأرض المنخفضة التي تلتقي فيها مياه السيول.

انظر: تاريخ الدولتين، المصدر السابق، ص65

([110]) للمزيد من المعلومات.

انظر:الأدلة، المصدر السابق، ص51.

([111]) تعنى: الرأس البارز في البحر .

انظر: الإدريسي، الشريف محمد بن عبدالعزيزت548هـ/1153م،نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،مطبعة ليدن – بريل،1862م، ص25.

([112]) الإدلة، المصدر السابق،ص25.

خاتمة

- صفوة القول من خلال ماعُرض سابقاً يتضح أن إفريقية قد شهدت اضطرابات داخلية وخارجية، بسبب تولى بعض الأمراء الضعاف، متمثلة في السيطرة المرينية عليها من خلال حملة أبي الحسن المريني.
- شهدت إفريقية بعض العمال الإصلاحية التي قام بها بعض الأمراء مثل أبو عصيدة، فعاشت إفريقية مطمئنة، وشهدت ازدهاراً طوال هذه المدة.
- استفادت إفريقية من وجود العديد من المؤسسات العلمية التي لم يدخر العلماء جهدًا في رعايتها، خلال هذه فترة الصراع على السلطة والانقسام.
- لم تتوقف رحلات العلماء بين الغرب والشرق فعرفت إفريقية في هذه الفترة العديد من العلماء من أمثال إبي إسحاق الصفاقسي(ت 742هـ/1341م)، وابي العباس الغمارى (ت 782هـ/1380م).
- اصطحاب أبي الحسن المريني في رحلته على تونس على عدد كبير من علماء المغرب فزاد ذلك في تقوية الرصيد العلمي والثقافي لإفريقية.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

أولاً : المصادر المخطوطة:

1- الكواش، صالح ت1218هـ/1803م، تاريخ تونس،مخطوط بدار الكتب الوطنية ، تونس، تحت رقم 338.

ثانيًا : المصادر المطبوعة العربية والمعربة:

2- ابن أبى دينار ، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم القيرواني ت 1092هـ / 1681م): المؤنس في أخبار إفريقية وتونس (تحقيق د. محمد الشمام ، المكتبة العتيقة ، تونس 1968م).

3- ابن الأحمر،إسماعيل ابن الأحمر 807هـ/1404م،نثير الجمان في شعرمننظم ن يوإياه الزمان،تحقيق،محمد رضوان الداية،مؤسسة الرسالة،بيروت، 1976م).

4- الإدريسي،الشريفمحمدبنعبدالعزيزت548هـ/1153م،نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،مطبع ةليدن – بريل،1862م،

5-الأندلسي،محمد بن محمد السراجت 1149 هـ / 1736 م،الحلل السندسية في الأخبارالتونسية،تحقيق،الحبيب الهيلة ،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1985م،مج1

6-البغدادي ،صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ت 739هـ 1338/م،مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق،على محمد ، دار الجيل ، بيروت ، 1988م،

7-التنبكتي، أحمد بابا ت 1036 هـ / 1626 م، نيلالابتهاج بتطريز الديباج تحقيق، عبدالحميد الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989م.

8-ابن خلدون،عبد الرحمن بن محمد ت 808 هـ / 1405 م،مقدمةابنخلدون،دار العودة،بيروت،د.ت.

-العبر وديوان المبتدأ والخبرفى أيام العرب والعجم والبربرومن عاصرهم من ذوىالسلطان الأكبر،دار الكتاب البنانى، بيروت، 1959 م.

9-الزركشي ،أبوعبد الله محمد بن إبراهيم ت 787 هـ / 1385 م،تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق، محمد ماظور، المكتبة العتيقة ، تونس، ط3، 1996 م.

10-السخاوي، شمس الدين ت 902 هـ / 1496 م،الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت، د.ت.

11-ابن الشماع، أبوعبدالله محمد بن أحمد ت 833 هـ / 1429 م، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق، الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م.

12-ابن الصباغ، محمد بن أبي القاسم الحميري 855هـ/ 1451م، درة الأسرار وتحفة الأبرار، تحقيق، عبد القادر عطا، مطبعة السعادة، القاهرة، 1984م.

13-القلقشندي، أبو العباس أحمد بن على ت 821هـ/ 1418م، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق،محمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

14-ابن القنفذ، أبوالعباس أحمد بن الحسن بن على بن الخطيب ت 810هـ/1407م، الفارسية فى مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق،م حمد الشاذلي، عبدالحميد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م.

15-ابن مخلوف، محمد بن محمد المنستيري ت 941 هـ / 1934 م، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت،.

16-المقري، شهاب الدين أحمد المقري التلمساني ت 1041هـ/ 1631م، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1947م.

17-ابن منظور،محمد بن مكرم الأنصاري ت 711 هـ / 1311 م،لسان العرب، تقديم، عبدالله العلالي، دار الجيل، بيروت، 1988 م.

18-النيفير،محمد ت 1330 هـ / 1911 م،عنوان الأريب عما نشأ بالمملكة التونسيةمن عالم أديب، تونس،د.ت.

ثالثاً: المراجع العربية:

1-إبراهيم حركات: المغرب عبرالتاريخ (دار الرشاد،المغرب،ط2، 1984م

2-أحمد الطويلي،الحياة الأدبية بتونس في العصر الحفصي، تصدير، الشاذلي أبويحيي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القيروان، .1996

3-الحسن إسكان: تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصرالوسيط (1-9 هـ / 7-15م،مركز الدراسات التاريخية،الرياض، 2004م).

4-زاهر رياض: شمال أفريقيا فى العصور الوسطى،مكتبة الأنجلوالمصرية،القاهرة، 198م.

5-حسن حسني عبد الوهاب،العمر ،مراجعة،محمد العموري،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1990م.

رابعًا: الدوريات والمجلات والموسوعات العلمية:

1. محمود إسماعيل، المالكية والشيعة بإفريقية إبان قيام الدولة الفاطمية، المجلة التاريخية المصرية، القاهرة، 1976 م.